﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿**بحث بعنوان**﴾

العالم المصلح صالح ابن مهنا (ت 1910م) ومعالم من جهوده التفسيرية.

كتبه راجي عفو ربه:

أد / رضوان بن إبراهيم لخشين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة، الجزائر.

بحث معد للمشاركة في الملتقى الوطني " اتجاهات التفسير في التراث التفسيري الجزائري معالم ومقاصد ":

"بقسم الكتاب والسنة – كلية أصول الدين – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة"

للتواصل: ... redlek21@gmail.com

البريد الإلكتروني المهني: ... r.lekhchine@univ-emir.dz

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث جوانب من حياة العالم المصلح الصالح ابن مهنا القسنطيني رحمه الله (ولد 1840 تقريبا)، وجهوده في علم التفسير، وقد خلص إلى أن ابن مهنا رحمه الله من العلماء المفسرين، والخطباء الواعظين، الذين كانت لهم جهود في تفسير القرآن الكريم في دروسه المسجدية، وله اعتناء بالغ بتفسير روح البيان لإسماعيل حقي رحمه الله، فكان قد اختصره، وأكثر النقل عنه في مؤلفاته، وظهرت مكنته التفسيرية في ما نقله عن المفسرين في كتبه، ثم إن ابن مهنا رحمه الله كان ابن وقته فقد اهتم بالحال الاجتماعية الدينية فقام مصلحا، ومربيا ومصححا لكثير من أفكار الخرافة، والدجل التي شاعت وقتها، ووقعت له محنة مع بعض أعيان رجال زمانه، وتوفي رحمه الله سنة 1910م، وقد ترك تراثا علميا حريا بالبحث والدراسة في شتى العلوم.

الكلمات المفتاحية: ابن مهنا – الرحلة الورثلانية – سليمان الصيد – روح البيان – منهج التفسير.

The scholar Salih Ibn Muhanna and the milestones of his exegetical efforts.

summary:
This research deals with aspects of the life of agood persen, Ibn Muhanna al-Qasantini, may God have mercy on him (and was born approximately 1840), and his efforts in the science of interpretation, and he concluded that Ibn Muhanna from the interpreted scholars ،And the preachers, who had efforts to interpret the Noble Qur'an in his prosthetic lessons, and he took great care in interpreting Roh al bayan to Ismail Hakki, so he had abbreviated it, and most of it was reported in his works ، His explanatory potential appeared in what he quoted from the interpreters in his books, then Ibn Muhanna,, was the son of his time, so he took care of the religious social situation and established a reformer, an educator and a correcter of many myth ideas ،And the man who became popular at the time, and he suffered an ordeal with some of the men of his time, and he deads in 1910, and he left a free scientific heritage by researching and studying in various sciences.

Key words: Ibn Muhanna - Rihla werthilania - Suleiman Asayd- Rouh albayan - the method of interpretation.

1. المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد ولد آدم أجمعين، نبينا مُحَمَّد الزكي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن أعظم نعم الله على الناس أجمعين، وبالأخص عباده المسلمين، أن جعلهم لكتابه من الوارثين، وجعل لنفسه سبحانه منهم خواص، هم أهل القرآن الكريم، فأهل القرآن هم أهل الله وخاصته، يبصرون به من العمى، ويهدون به من الضلال، في كل زمن منهم بقية يحملون الكتاب بقوة، علما وعملا ودعوة، فكان منهم العلماء المفسرون، الذين دونت كتب التراجم والتاريخ كثيرا من أخبارهم ومآثرهم، ومواقفهم وسيرهم، على اختلاف البقاع والأصقاع، والأقاليم والأقطار، فجاء هذا المؤتمر الكريم ليكشف عن جمع من أعيان مفسري الجزائر المحروسة على اختلاف أزمنتهم، وتنوع مناهجهم، مذ دخل الإسلام والقرآن مع الفاتحين الأولين، إلى غاية من كانوا بين أظهرنا من المعاصرين.

ورجاء الاندراج في مسالك هذا الملتقى المبارك اخترت في ورقتي البحثية هذه شخصية علمية نالها كثير من النسيان والإهمال، ألا وهي شخصية العالم القسنطيني الصالح بن مُحَمَّد ابن مهنا رحمه الله، الذي كان من أفاضل رجال العلم في قسنطينة ما بين 1880 إلى غاية 1910 سنة وفاته، ولما نال من هذه الشخصية ما نالها من نسيان وإهمال أردت أن يكون بحثي هذا تذكارا لجملة من جهوده التفسيرية، فجعلت عنوانه: " **العالم المصلح صالح ابن مهنا (ت 1911م) ومعالم من جهوده التفسيرية** "، ليكون معرفا بجملة من أهم محطات حياته، وموضحا لمعالم أعماله التفسيرية، ومنهجه فيها. فمن هو الصالح ابن مهنا رحمه الله؟، ما هي أهم محطات حياته العلمية والدعوية؟، ما موقفه من كثير من شؤون الحياة التي عايشها؟ وما هي أبرز جهوده العلمية عموما والتفسيرية على وجه أخص؟.

أسباب اختيار الموضوع:

لا أخفي القراء الكرام أن من بين أهم الأسباب الدافعة إلى اختيار هذه الشخصية شيء من الذاتية ذلك أن هذا العالم منسوب إلى قبيلة بني مهنا التي تجاور مدينة القل، والقل هي بلدتي ومسقط رأسي، ثم هي من القبائل المجاورة للقبيلة التي أنتمي إليها دارا ومنزلا، فكان هذا وذاك من جملة الدوافع التي انضافت إلى قلة درايتي، واطلاعي على تاريخ هذه الشخصية العلمية، من حيث سيرتها الذاتية، وجهودها العلمية، إضافة إلى كونها شخصية مغمورة في الأوساط العلمية فضلا عن غيرها، فلما اتفقت الأسباب قوي العزم.

الدراسات السابقة:

جعلت زاوية البحث التي سأتناولها من شخصية العلامة الصالح بن مهنا رحمه الله تلك الجهود التفسيرية التي كانت منه، وفي هذا يمكنني أن أقول إني لم أطلع على من خص هذه الجزئية من شخصية ابن مهنا رحمه الله بالبحث، إلا أنه من الجدير بالذكر ما يلي:

أولا: أن الأستاذ المؤرخ سليمان الصيد قد كان سباقا بلا نزاع في كتابه: " **صالح بن مهنا القسنطيني،حياته وتراثه** "، إذ كان له الفضل الكبير في بيان كثير من جوانب هذه الشخصية التي كادت تنسى من ذاكرة البشر، وكادت صفحة أن تمحى من تاريخ المصلحين الجزائرين.

ثانيا: أن الباحث هارون بولقرينات وفقه الله اجتهد في العمل على مجموعة من رسائل ومؤلفات ابن مهنا رحمه الله، تحقيقا، واعتناء وطباعة. فصدر له كتابه: " **علامة وقته وفريد عصره خديم الحديث الشريف والسنة المطهرة أبو البركات صالح ابن مهنا القسنطيني الأزهري ترجمته وبعض من آثاره** "، ذكر فيه ترجمة ملخصة للشيخ ابن مهنا رحمه الله، ثم أردفها بتحقيق أربعة من كتبه هي:

* "**تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين**".
* "**إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية**".
* "**الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني**".
* "**الدر الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**".

وقد استفدت مما ذكر الباحث، واستفدت من كتب ابن مهنا رحمه الله في جمع ما يتعلق بمادة التفسير، وإحصاء ما يتعلق بها.

ثالثا: وهو من المقالات العلمية الجيد، للأستاذ الفاضل عبد الحليم بيشي بعنوان: " **الإمام مُحَمَّد الصالح ابن مهنا آثاره العلمية، وآراؤه الإصلاحية** "، ركز فيه على جملة من آثاره العلمية والإصلاحية، وجوانب من حياته دون غوص في مكامن الغموض منها، وقدم عرضا جيدا لآراء ابن مهنا رحمه الله الإصلاحية التي كانت سببا في محنته.

رابعا: وهو مقال بعنوان: "**الشيخ االصالح بن مهنا وكتابه رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية** "[1]، للأستاذة منى صالحي، ، وهو مقال وصفي للكتاب، مع قلة تحليل.

خامسا: وهو أيضا مقال بعنوان: "**مُحَمَّد الصالح بن مهنا ومنهجه في عرض العقيدة الإسلامية**"[2] للباحث عبد الكريم سناني، وهو مفيد في موضوعه غير أن لم يتطرق لمقصود بحثي وهي الجوانب التفسيرية.

---

(1) – منشور في مجلة عصور في العدد 22– 23 بتاريخ جويلية – ديسمبر 2014، ص376 وما بعدها.

(2) – منشور في مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 01 المجلد 09، بتاريخ 15 جوان 2020، ص398 وما بعدها.

تلك هي جملة ما وقفت عليه من دراسات مقاربة لموضوع بحثي هذا، وقد استفدت منها على تفاوت فيما بينها، ولم أرها عرجت على شيء من متعلقات الجوانب التفسيرية في حياة وثقافة ابن مهنا رحمه الله.

خطة البحث:

ولغرض حسن عرض البحث، وسلامة الانتقال بين مباحثه وفقراته، رتبته على الخطة الآتية:

المقدمة:

المبحث الأول: ترجمة موجزة للمصلح العالم صالح بن مهنا رحمه الله.

مطلب في : اسمه ونسبه ونسبته ومولده.

مطلب في: نشأته ورحلاته وشيوخه.

مطلب في: تلاميذه ومؤلفاته .

مطلب في: محنته ووفاته آراؤه الإصلاحية.

المبحث الثاني: الجهود التفسيرية عند صالح ابن مهنا.

مطلب في: ابن مهنا رحمه الله مفسرا.

مطلب في: مؤلفات ابن مهنا التفسيرية.

مطلب في: معالم منهج التفسير عند ابن مهنا في مؤلفات.

الخاتمة:

وبعد هذا العرض الموجز لأهم متعلقات البحث، توطئة له، هذا أوان الشروع في المقصود والله الموفق.

2. المبحث الأول: ترجمة موجزة للمصلح العالم صالح بن مهنا رحمه الله.

توطئة:

إنَّ كلامنا في ترجمة هذا العالم المصلح تأتي في حجم لطيف وكلام خفيف، وذلك لمَّا اكتنف ترجمته كثير من الفراغات والخلات التي لم تهتم لملئها، وسدها ذكرا وتسطيرا أقلام الكتَّاب والمؤرخين من معاصرين وطلاب، فكانت حكاية من جاء بعد ذلك أقل منها أو تقاربها، والعادة قاضية أن الفرع لا يزيد على أصله، ولما كان ذلك آثرت هاهنا الاختصار، والاقتصار على ما تقوم به حاجة بيان شيء من ترجمة هذا العلم الذي لا يكاد يُذكر، وإذا ذُكِر فقلما يُعْرف.

وقبل ذلك أرى من اللازم أن أذكر جملا تضع القارئ في مجال زمني واضح للكلام الذي سنذكره عن الشيخ ابن مهنا رحمه الله، فابن مهنا عاش في الفترة ما بين 1840 – إلى 1910م، وهي كما لا يخفى على الجميع كانت فترة استعمار، فالسيطرة فيه للدولة الفرنسية، فقد بسطت نفوذها على أغلب المناطق الساحلية للجزائر، واستقر لها الوضع السياسي بعد إبادتها للثورات الشعبية، فنهجت في الجانب الاجتماعي سياسة التجهيل والتضليل، والإخضاع لكل من يعاند أو ينازع بالاستمالة والجاه والمال تارة، أو بالإذلال والتعذيب والإبادة، تارة أخرى، فكان حال الشعب الجزائري يومها أسوء حال، لولا أن الله سبحانه قيض له في كل زمن من الأزمان ثلة من أهل العلم والقرآن ممن قاموا في نصرة الإسلام، وبعث أسباب رفع الذل والمهانة، ومحاربة أسباب الجهل والضلال، واستنقاذ الناس من تلبيس المضللين لسفهاء، وكيد الخونة العملاء.

2. 1. مطلب في : اسمه ونسبه ونسبته ومولده.

نص العلامة ابن مهنا رحمه الله على اسمه في العديد من كتبه، فهو: الصالح بن مُحَمَّد ابن مهنا، وأضاف المؤرخ سليمان الصيد فقال: "**الصالح بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد**"[1] حسب ما وجده في سجل الحالة المدنية بمدينة قسنطينة، وعليه فيمكننا القول إنّ اسمه الكمال هو: **الصالح بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ابن مهنا** رحمه الله.

وأما نسبه فهو ينتهي إلى **مهنا رحمه الله**، و"**مهنا**" هذا ذكر حفيده **الصالح بن مهنا** مترجمنا في كلامه على حاشية الرحلة الورثلانية فقال: "مهنا، هو من أسلافنا، ولنا أسلاف بالمشرق بالمدينة المنورة، أشراف وأمراء على المدينة، ذكرهم ابن خلدون في تاريخه، ولنا أسلاف أيضا بالشام، ذكرهم أبو الفداء في تاريخه، وابن الوردي في

(1) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني،حياته وتراثه"،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة، ط1، 1404هـ- 1983م،(27).

تاريخه..."[1]. وإذ ينسب نفسه إلى هذا الجد البعيد فهو دليل على شهرته، وشهرة الانتساب إليه، وهنا من المفيد أن نشير إلى أن من القبائل التي تسكن قريبا من مدينة القل، وتحديدا قريبا من مدينة كركرة، منطقة تعرف بـ: (**بني مهنا**)، وستأتي الإشارة إلى علاقة مترجمنا العلامة الصالح ابن مهنا رحمه الله بهذه المنطقة لدى كلامنا على مكان ميلاده ونشأته.

وأما نسبته، فقد استجمعت من خلال المطالعة في كتبه والكتب التي ترجمت له فجمعت جملة طيبة من النسب التي كان ينسب إليها وهي: (**القسنطيني، الزيتوني، الأزهري، المالكي، العليشي، الأشعري، الشاذلي، الحنصالي**)، وهي نِسَب تدل على محطات في حياته، وعلى مذهبه وعقيدته، وتوجهه السلوكي، فهو القسنطيني نشأة، وإقامة ووفاة، والزيتوني والأزهري رحلة وتعلما وتحصيلا، والمالكي مذهبا، على رأي شيخه مُحَمَّد عليش رحمه الله حتى صار ينسب نفسه إليه العليشي، وهو الشاذلي الحنصالي طريقة وسلوكا.

وأما مولده فقبل الكلام فيه لا بأس أن نذكر بما هو معروف ومألوف، وهو أن العالم يولد كغيره من الناس فلا يؤبه لمولده مكانا وزمانا، لكنه يموت يوم يموت وهو فلان بن فلان، فتتسابق الأقلام لتسطير وفاته، وأيامه، وهو ما كان مع مترجمنا الصالح ابن مهنا رحمه الله، فقد وقع في تاريخ ميلاده شيء من الغموض، وذلك لتضارب التواريخ المتعلقة ببعض جوانب حياته، وذلك:

أن الصالح ابن مهنا رحمه الله يَذكر عن نفسه أن رحل إلى الزيتونة بتونس متعلما قبل سنة 1280هـ[2]، ويُذكر لحداثة سنه كان في رفقة والده[3]، ويذكر بعض تلاميذ المترجَم أنه كان وقتها في سن السادسة من عمره.

وأن ابن مهنا رحمه الله ذكر عن نفسه[4] أنه كان في تونس عام 1272هـ الموافق لـ 1855م وأنه قرأ على علمائها سنة 1273 الموافق لـ 1856.

ثم إن ابن مهنا رحمه الله ذكر عن نفسه[5] أنه رحل إلى الأزهر بمصر طالبا متعلما ما بين سنوات 1274هـ الموافق لـ 1857، إلى سنة 1280هـ الموافق لـ 1863م.

---

(1) – الحسين بن مُحَمَّد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بـ "الرحلة الورثلانية"، باعتناء محفوظ بوكراع، وعمار بسطة، (38/1).

(2) – انظر: سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، ()، وحسين الورثلاني، الرحلة الوثلانية، () الحاشية.

(3) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، (23) الحاشية، وذكر أحد الباحثين أن ثمة رواية شفهية مفادها أن ابن مهنا رحمه الله تربى يتيم الأب، انظر: هارون بولقرينات، "علامة وقته..."، (19 الحاشية).

(4) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، (36).

(5) – في حواشيه على الرحلة الورثلانية، (86/2).

وهو رحمه الله قد توفي قطعا بتاريخ 11 أفريل 1910م[1]. فإلى هذا التاريخ كل الأمور تبدو واضحة.

إلا أن الإشكال يبدأ من التاريخ الذي سجل به المترجم ميلاده في سجل الحالة المدنية بمدينة قسنطينة فقد سجل ميلاده بتاريخ 02 ماي 1889م[2]. وأن له من العمر يومها نحو الـ 35 سنة، فحينها يكون ميلاده في حدود سنة 1854م، وهذا لا ينسجم مع ما ذكر ابن مهنا رحمه الله من تواريخ سابقة لرحلاته، ذلك أن الأخذ به ينتج عنه أنه كان طالبا في تونس وله من العمر سنة واحدة، وأنه كان بالأزهر طالبا وله من العمر ثلاث سنوات، وهذا لا يقبله عقل ولا يشهد له حس.

ودفعا لهذا التعارض[3] لا بد لنا من نظرة متأنية تنطلق من المقدمات القطعية بتأمل ومعقولية بحسب أحوال الحياة وما جرى عليه الحال عندهم، وتلك هي أن رحلة ابن مهنا رحمه الله التي كانت إلى تونس سنة 1272 هـ-1855م للتعلم لا تكون إلا لطالب قد حصل من مبادئ العلوم الدينية ما يؤهله للتعلم بجامع الزيتونة، وذلك في الغالب لا يكون إلا فيمن كان في عمر العاشرة على الأقل. وإلا فالأظهر أنه يكون في عمر أكبر فالدراسة في الزيتونة ذات مستوى عال لا يصلح لها إلا من تأهل، ولا يتأهل إلا من كمل عقله وتم فهمه، يشهد لهذا أن ابن مهنا رحمه الله ذكر أنه درس في الزيتونة الفقه من متن خليل ابن إسحاق بشرح الدردير رحمهم الله، وهذا لا يطيقه إلا من كمل سنا وفهما، فعلى الأرجح أنه كان حينها في سن لا تقل عن سن البلوغ 14 أو 15. فيكون ميلاده على ذلك في حدود 1257م تقريبا الموافق لـ 1840م. وهو الرأي الذي مال إليه سليمان الصيد رحمه الله، وهو الرأي الذي يتفق مع بقية سيرة هذا العالم إبان رحلاته، وسفراته العلمية، فالدراسة في جامع الزيتونة عادة تمتد قرابة ست سنوات، أو سبعة[4]، فحينها يكون ابن مهنا رحمه الله قد تخرج منه وهو في عمر الشباب والعشرينات، على الأقل أن يكون في سن الـ 22، وهو السن الذي ينسجم مع متطلبات الدراسة في الأزهر الشريف، التي عادة ما

---

(1) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، (36).

(2) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، (35).

(3) – احتمل سليمان الصيد دفعا لهذا التعارض أن يكون قبل ابن مهنا رحمه الله أنه درس بالزيتونة ومصر قبل الثمانين، أنه يقصد الثمانين من التاريخ الميلادي، ثم ضعف الصيد رحمه الله هذا الاحتمال بما تقرأه في الصفحة (34) من كتابه السابق الذكر والقصد هنا أن من أوجه ضعف هذا الاحتمال أن ابن مهنا رحمه الله توفي سنة 1910م، فإن كان قصد أنه قرأ عليهم قبل الثمانين من التاريخ الميلادي، أي قبل سنة 1880م التي ليس بينها وبين وفاته إلا 30 فقط، وهي مدة قريبة جدا من تاريخ الوفاة، تنافي ما عرف من حياته وسيرته الأخرى، وأنه رجع من مصر إلى الجزائر سنة 1887م، ثم استقر في زاوية بوحجر ثم عين إمام بالجامع الكبير في قسنطينة، وتولى هذه المهمة ما يقرب من ثلاثين ثم وقعت له محنته المعروفة، وتوقف عن العمل، وأمور أخرى في حياته لا تتناسب مع كونه يقصد بالثمانين أنها من التاريخ الميلادي، بل هي الثمانين من التاريخ الهجري قطعا، ويكفي في هذا صراحة كلامه في مواضع من تعليقاته على الرحلة الورثلانية (86/2).

(4) – محمد بوطيبي، "التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين دراسة في المنهج والبرامج"، مقال منشور في المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد الخامس، جوان 2017، ص198.

تستمر من عشر سنوات إلى ثلاثة عشر سنة[1]، وحينها يكون ابن مهنا رحمه الله قد تخرج من الأزهر في حدود سنة 1875م. وعمر في حدود الخامسة والثلاثين 35، فلا يستقيم حينئذ أن يكون عمره سنة 1889م في حدود الـ 35 بل يكون أكثر إلى غاية الخمسين تقريبا،

وحينها يبقى علينا أن نقف مع التاريخ الذي صرح به ابن مهنا رحمه الله في سجل الحالة المدنية بالتوجيه والتعليل، وهذا يتطلب منا معرفة دقيقة بالواقع المدني الذي كان يومها وبعض أحوال الحياة المهنية والاجتماعية، والسياسية الدولية زمنها، لنتمكن من ذكر تعليل يكون قريبا من الواقع، والحسم في أمر كهذا يبقى بعيدا إلا أن يكون على سبيل الاحتمال كأن يكون ذلك لغرض الإعفاء من بعض الأعمال، أو لأجل الاستفادة من بعض المهام، وهذا الأخير هو الذي مال إليه سليمان الصيد، ذلك أنه رأى في سجل الحالة المدنية التي سجل ابن مهنا رحمه الله نفسه فيه أنه يومها لم يكن ذا عمل فقد كانوا يكتبون لمن لا عمل له كلمة (sana) أي دون عمل، والعلم عند الله.

وبعد الكلام عن تاريخ ميلاده ينبغي ذكر المكان الذي ولد فيه وهو ما نختم به الكلام في هذا المقام فأقول:

قد ذكر المؤرخ سليمان الصيد[2] في صدر كلامه عن مكان ميلاد ابن مهنا رحمه الله أنه قسنطيني المولد جزما، ثم ذكر أنه من الممكن أن يكون وليد منطق بني مهنا التي تقع قريبا من بلدية كركرة بالقل، وهي معروفة إلى اليوم، ولم يجزم بذلك، واستغرب:

* أن عالما معروفا مثل ابن مهنا رحمه الله لم تذكر كتبه الموجودة شيئا عن مكان ميلاده.

* كما استغرب أن من عُرفوا من طلابه لم يذكروا عنه شيئا من ذلك.

ويمكنني أن أقول استئناسا ببعض القرائن إن مترجمنا العلامة الصالح ابن مهنا رحمه الله ليس من مواليد قسنطينة، بل أرى أنه من مواليد قرية بني مهنا المعروفة التي سبق ذكرها، وذلك لجملة من القرائن، هي:

1. أن شجرة نسب ابن مهنا رحمه الله التي في سجل الحالة المدنية بقسنطينة اقتصرت في نسبه على "صالح بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد"، وهذا من الأدلة على أنه ليس قسنطيني الأصل، وإلا لكان نسبه معروفا كحال عامة أنساب القسنطينيين، وهو من شواهد كونه ينتسب إلى مكان آخر، وهو قبيلة بني مهنا السابق ذكرها، وهذه النسبة قطع بها كثير من المهتمين والباحثين، كالشيخ نعيم النعيمي، وسليمان الصيد، وبعض طلاب ابن مهنا رحم الله الجميع.

(1) – انظر ما سيأتي في ص17 من البحث، حال الكلام على ابن مهنا رحمه الله مفسرا.

(2) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني حياته وآثاره"، (27– 32).

2. ثم إن ما سبقت الإشارة إليه من أن مترجمنا ابن مهنا رحمه الله سجل نفسه في السجل المدني القسنطيني بتاريخ اعتباري تقديري تقريبي يدل على عدم الدراية بتاريخه على وجه الدقة، ولو كان قسنطيني المولد لكان تاريخ ميلاده معلوما على وجه دقيق.

3. أن أحد طلاب الشيخ ابن مهنا رحمه الله، وهو المكي بن علي بن أحمد الفكون رحمه الله، أشار في خاتمة نسخه لأحد شروح الشيخ ابن مهنا رحمه الله قائلا: "...الشيخ سيدي الصالح ابن مهنا الأزهري الشاذلي القسنطيني منشأ وسكنى"[1]، وظاهر منه أن ابن مهنا لو كان قسنطيني المولد لما احتاج إلى هذا التقييد لقسنطينيته بالمنشأ فقط. ما يدل على أن مولده في مكان آخر.

فالذي يظهر أن عالمنا ابن مهنا رحمه الله ولد في القرية المعروفة قرية بني مهنا القريبة من بلدية الكركرة المعروفة اليوم. ومن المحتمل أنه نشأ بها ثم استقر مع عائلته في قسنطينة ونشأ بها، ثم رحل بعدها مع والده إلى تونس، والله أعلم.

2. 2. مطلب في: نشأته ورحلاته وشيوخه.

اتفقت القرائن والدلائل على أن ابن مهنا رحمه الله قسنطيني النشأة، نشأ وتربى بها، إلا أن الباحثين والمهتمين يختلفون بعد ذلك في سيرته، فيذكر بعض الباحثين[2] أنه أخذ القرآن في صباه ومبادئ العلوم في زاوية سيدي يوسف المسلمي، على يد أول شيوخه، وهو الشيخ أحمد بومعيزة المسلمي رحمه الله، ثم التحق بزاوية بوحجر بمنطقة ثلاث الحمري ببلدية سيقوس أم البواقي حاليا[3]، حيث تعلم على بعض مشايخها والمدرسين بها، ولما بلغ مبلغ الرحلة سافر ورحل في الأمصار رحلات عدة.

وأما البعض الآخر[4] فيذهب إلى أن ابن مهنا رحمه الله نشأ في بلدته التي ولد فيها، الكركرة حيث تسكن قبائل بني مهنا، وأنه تعلم في كتاب المنطقة في صباه، وأتم دراسته في المعاهد العلمية بمدينة سكيكدة، وبعد أن شب وكان ذا مقام في قومه، ارتأت الدولة الفرنسية نفيه، تفاديا لما قد يكون منه من أعمال تحريضية مقاومة للدولة، فكان من شأنه أن رحل من بلدته إلى قسنطينة، ثم قرر بعدها الرحلة في العلم، فرحل رحلات أهمها:

1. رحلته إلى حاضرة العلم والعلماء جامع الزيتونة بتونس، وفيها نهل من معين علمائها واستفاد من دروسهم.

---

(1) – سليمان الصيد، " صالح بن مهنا القسنطيني "، (168).

(2) – وهو هارون بولقرينات فيما ترجم به للصالح ابن مهنا رحمه الله فاتحة ما طبعه له من رسائل. سبقت الإشارة إليها في المقدمة.

(3) – والزاوية موجود معالمها إلى يومنا هذا، لكنه خالية مهجورة .

(4) – وهو رأي أحد المهتمين بتاريخ قبيلة بني مهنا، وهو السيد **مختار وعواع**، أحد أفراد قبيلة بني مهنا وابن مدينة الكركرة، الذي ألف كتابا عنوانه: "تاريخ بني مهنا"، وهو مؤلف غير أكاديمي إلا أنه نهج فيه منهجا تاريخيا يعتمد على الأخبار وسرد جملة من الروايات الشفوية والمعلومات التي استجمعها من كبار السن والأخبار المتداولة لدى أبناء القبيلة شيوخا وكبارا. وهذا الرأي الذي سجلته عنه هنا أخبرني به في لقاء مع بمحله بمدينة الكركرة، يوم الجمعة 03/ فيفري/ 2023.

2. ثم سافر بعدها إلى مصر وعاش زمنا في رحاب أزهرها العامر بالعلم والعلماء وأهل الفضل.

3. كما أشار هو نفسه إلى بعض أسفاره الأخرى كرحلة حجه، ورحلته إلى بيت المقدس، تيهه بصحراء التيه.

4. وكانت له أسفار أخرى في القطر الجزائري إبان رجوعه، ومنها رحلته إلى بسكرة سنة 1313هـ الموافق لـ 1895م.

وإبان رحتله العلمية إلى تونس، ومصر، ومكة، والمدينة التقى الشيخ ابن مهنا رحمه الله بثلة طيبة من أهل العلم الذين تلقى عنهم، وأخذ منهم، وقد استجمعهم المؤرخ سليمان الصيد في كتابه السابق، ولا يهمنا في هذا المقام استقصاء تراجمهم إلا ما كان مناسبا لمتطلبات البحث، لذا سأكتفي بذكر أسمائهم وأحيل التوسع في تراجمهم على كتاب سليمان الصيد، وغيره من كتب التراجم الأخرى، وأولئك الأئمة هم:

الشيخ الجربي المالكي، والشيخ محمود بن مُحَمَّد قابادو، والشيخ الصالح النيفر، ومُحَمَّد النيفر الأكبر، والشيخ مُحَمَّد بن الطاهر المازري، والشيخ عاشور الساحلي رحمهم الله، وهؤلاء هم التونسيون من شيوخه، وأما المصريون منهم فهم: شيخ الإسلام إبراهيم الباجوري، وشيخ الإسلام مصطفى العروسي، والشيخ الفقيه مُحَمَّد بن أحمد عليش، والشيخ حسين بن أحمد المرصفي، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي، والشيخ الرفاعي شيخ الأزهر في زمنه، والشيخ الشرقاوي الشافعي، والشيخ مُحَمَّد الأشموني الشافعي، والشيخ أحمد الأجهوري الضرير، والشيخ مُحَمَّد الأنبابي رحمهم الله جميعا.

وأغلب هؤلاء الأئمة الأعلام وبخاصة المصريين منهم أهل اعتناء بالقرآن الكريم وتفسيره فما من شك أن ابن مهنا رحمه الله قد استفاد منهم في ذلك، فهم من شيوخه فيه علم التفسير ومتعلقاته.

2. 3. مطلب في: تلاميذه ومؤلفاته .

لما رجع ابن مهنا رحمه الله من مصر، مكث مدة معلما ومدرسا وواعظا بزاوية بوحجر، فلما عُرف أمره، وذاع صيته، واشتهر علمه، انتُدب للتدريس والخطابة بالجامع الكبير بقسنطينة، "وقد أدى الشيخ صالح رحمه الله رسالته التعليمية والتوجيهية على أكمل وجه فهو قد تولى هذه المهمة نحو من 30 سنة وقد تخرج عليه عدة تلاميذ محصلين"[(1)]، وفي الجهة الأخرى اعتكف الشيخ صالح رحمه الله على التأليف، ونشر العلم تدريسا وتأليفا، فكان من نتاج ذلك ثلةٌ من التلاميذ، وجمعٌ من التآليف، فأما تلاميذه، فمن أشهرهم:

* الشيخ عبد المجيد بن بريك بن الحاج حم بستانجي ت 1392هـ- 1972م رحمه الله.

* الشيخ رودسلي عبد الكريم بن عمر بن العربي ت 1908م في حياة شيخة ابن مهنا رحمهم الله.

(1) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني"، (51).

❋ الشيخ بهناس المختار بن صالح ت 1935م رحمه الله.

❋ الشيخ يوسف بن بروال رحمه الله.

❋ الشيخ علي بن اليسرى رحمه الله.

❋ الشيخ مُحَمَّد بن مسعود حماني ت 1939م، وهو والد الشيخ أحمد حماني رحمهم الله جميعا.

وقد ذكر غيرهم الباحث هارون بولقرينات في عمله الموسوم: "**علامة وقته وفريد عصره خديم الحديث الشريف والسنة المطهرة أبو البركات صالح ابن مهنا القسنطيني الأزهري ترجمته وبعض من آثاره**"[1]، الذي سبقت الإشارة إليه في المقدمة.

وأما تآليفه، فلابن مهنا رحمه الله مؤلفات كثيرة، استقصى ذكرها الأستاذ سليمان الصيد، لذا سأشير إلى بعضها هنا على أني سأذكر غيرها أخرى مما له تعلق بموضوع بحثنا في موضعه مما سيأتي، وقبل ذكرها أشير إلى أن أغلب كتب الشيخ ابن مهنا رحمه الله مفقودة إلا القليل منها، كما أن ما وجد من كتبه أغلبها مما ألفه زمن محنته ردا وتفنيدا لبعض المسائل التي يخالفها ولا يرتضيها، أو جوابا على ما أثير حوله من طعون وانتقادات من مخالفيه، فمن جملة مؤلفاته:

"**حاشيته على الرحلة الورثلانية**"، فقد ألف الشيخ الحسين بن مُحَمَّد الورثلاني[2] رحلته المشهورة، المعنونة بـ "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وطبعت أول الأمر بتونس[3]، وعليها تعليقات للشيخ صالح ابن مهنا رحمه الله، وهي حواش علمية متنوعة، وصفها ابن مهنا نفسه في بعض كتبه فقال: "وهي تمام ثلاثين تأليفا تكلمت فيها من ثلاثة عشر علما، ونقلت فيها من مائة كتاب، من كتب الأئمة المعتبر المعتمدة المشهورة المتداولة بين العلماء"[4]. وقد تكلم فيها عن ضرورة التقوى لكل الناس سواء منهم من كان من الأشراف أو من غيرهم، وبين أن النسب الشريف إلى النبي المصطفى ﷺ لا يسقط عن المرء الالتزام بالتقوى في كل أقواله وأعماله. فادعى بعضهم عليه أنه يسب آل البيت ويتهمهم، واعترض عليه. فكان من ذلك أن ألف ابن مهنا رحمه الله كتابه الآخر. "**تحقيق الدعوى والرد على أعداء التقوى**". ثم اختصره في كتابه "**تنبيه المغترين والرد على إخوان**

---

(1) – هارون بولقرينات، "علامة وقته "، (22– 23)

(2) – هو الحسين بن مُحَمَّد الورثلاني نسبة إلى بني ورثلان بالجزائر، المؤرخ والفقيه المالكي ولد عام 1125هـ، وتوفي 1193هـ، أخذ العلم عن أهل بلده، ثم رحل وحج وأخذ عن علماء مصر والقاهرة، عرف بتصوفه وتروى عنه كرامات، وكان دينا وقورا محترم المقام عند العامة والخاصة، من أشهر كتبه الرحلة الوثلانية. له ترجمة في مستهل الرحلة الوثلانية التي باعتناء مُحَمَّد ابن أبي شنب. وترجم له الحفناوي في "تعريف السلف برجال الخلف" (133/2).

(3) – بتاريخ 1903م. ثم أعيد طبعها مرة أخرى باعتناء محفوظ بوكراع، وعمار بسطة.

(4) – ابن مهنا، "الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني"، (175).

الشياطين"، فاشتد عليه معارضوه واشتكوه إلى السلطة الفرنسية التي اعتقلته واستجوبته، فكان من ذلك أن ألف كتابا في بيان ذلك وعنونه بـ "**إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنساوية**"، وأجاب باختصار عن جملة من المسائل إلا مسألتين اثنتين أطال فيهما وهما مسألة (الشريف الفاسق، وشيخ الطريقة).

ثم أتبع هذه المصنفات بكتاب عنوانه: "**السيف المهند المسلول لقطع رأس المهدي المغربي الجهول**"، واختصره في رسالة بعنوان: "**الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني**".

وهذه المؤلفات كما هو ملاحظ أغلبها في الردود، باستثناء الأول منها وهو حاشيته، وقد كانت في آخر حياته، على ما سيأتي بيانه فيما بعد، وأما غيرها من مؤلفاته التي يظهر أنه ألفها زمن توليه للتدريس والخطابة بالجامع الكبير فمن أبرزها:

❋ "**الدر الأسما في بيان معاني نظم الأسماء**" شرح فيه منظومة الدمياطية التي حوت معاني الأسماء الحسنى لله تعالى.

❋ "**شرح ابن عاشر**" وهو شرح لرجز ابن عاشر المعروف في الفقه المالكي.

❋ "**أقرب الوسائل في الصلاة على النبي وجمع الشمائل**".

❋ " **القول السديد على متن القصيد في علم التوحيد**".

❋ "**الفتوحات الأزهرية في الخطب المنبرية الجمعية**".

❋ "**تكملة مختصر الشيخ عبد الرحمن الأخضري**".

❋ "**مختصر الترغيب والترهيب للمنذري**".

❋ كما له الكثير من الشروح العلمية على المتون والكتب المعروفة في زمنه، ذكرها واستجمعها سليمان الصيد[1].

والذي يظهر لي أن هذه المصنفات والشروح ألفها زمن اشتغاله بالتدريس والإمامة والخطابة في المسجد الكبير، قبل زمن محنته، فقد لبث في ذلك ما يقرب من ثلاثين سنة كما صرح هو نفسه في بعض رسائله[2]، وأما بعد وقوع المحنة فلا يعلم أنه ألف حينها إلا جملة من الردود، وهي تلك التي بقيت وطبعت في زمنه وبعد وفاته، وأما تلك الرسائل والحواشي والشروح فقد اعتورتها أحوال الزمان فمنها ما كان موجودا وفُقد ومنها ما لا يُعلم عنه شيء ومنها ما أتلف، ومنها ما صودر مع ما صودر من مكتبته، وأحوال الزمان كثيرة.

---

(1) – سليمان الصيد، " صالح ابن مهنا القسنطيني"، (171– 179).

(2) – صالح ابن مهنا ، "إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنساوية"، (171– 179).

2. 4. مطلب في: محنته ووفاته آراؤه الإصلاحية[1].

لم يكن ابن مهنا رحمه الله العالم الأول الذي ابتلي في زمانه بأن كان إصلاحه سبب محنته، فقد كان هذا مهيع الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم، وحال الدعاة والمصلحين مع من هم في زمنهم، فابن مهنا رحمه الله الذي تربى في الأزهر الشريف، قد نهل من علومه، وتأثر بفكر علمائه ورجاله، قد تزامن وجوده بالأزهر مع الثورة الفكرية في مصر التي قادها كل من جمال الدين الأفغاني ومُحَمَّد عبده، فلا يشك الناظر في حياة ابن مهنا رحمه الله في تأثره بها، واستصحابها روحها، ونفحاتها إبان رجوعه إلى الجزائر، وما لبث ذلك التأثر الفكري أن يظهر متجسدا في مواقف ابن مهنا رحمه الله ضد كثير من الأفكار التي سادت زمنه، واستقرت خرافاتها في ذهن العامة والخاصة، فكان لها مزيد الأثر القبيح على الشعب الجزائري عموما والقسنطيني بصفة خاصة.

أشرنا سابقا إلى تولي ابن مهنا رحمه الله للتدريس والخطابة بالمسجد الكبير بقسنطينة، فكان ذلك سبيلا إلى احتكاكه بالمجتمع ونظره في حال خاصته وعامته، فرأى منه ما لا يهنأ معه بال الغيور، ولا يسكت فيه لسان النصوح، فأعلن النكير وصرخ صرخة حق في صماخ الباطل، ووقف في وجه كثير من رجال الدين المائلين إلى شهوات الدنيا، التي بذلها لهم جهل الناس، واستمالةُ الدولة المستعمرة. فكان من أبرز الأفكار التي ناهضها وعارضها ووقف ضدها، مسألة الشرف والأشراف. وحملته على المشعوذين والعرافين وأهل الزردة، وفضحه لأرباب الطرق الصوفية الخارجة عن حدود الشريعة.

وأكثرهما أثرا في محنته ووقعا، وأثرا في المجتمع يومها المسألة الأولى، فما من شك أن فضل الشرف النبوي والنسب المحمدي مما هو مقرر ومعتبر في الشريعة الإسلامية، له أحكامه ومتعلقاته، فابن مهنا رحمه الله الذي كان له مقام العلم والإمامة في زمنه لن يكون على جهل بذلك، وحينها كان لزاما أن نعرف أن ما أنكره ابن مهنا رحمه الله في مسألة الشرف والأشراف جملة من الأمور هي:

أولا: اتخاذ الشرف مطية للتفلت من الأحكام الشرعية، ومبررا للممارسات المحرمة.

ثانيا: اتخاذ الشرف مطية للتكسب والتسلط على أموال الناس وممتلكاتهم.

وكان أول شأن ابن مهنا رحمه الله في هذه القضية هو ما كتبه في حاشيته على الرحلة الورثلانية[2] التي ألفها وخرجت للطباعة أول مرة سنة 1321هـ - 1903م بتونس، وأشار إليه ملخصا في فاتحة رسالته "**تنبيه المغترين**

(1) - كتب الأستاذ مُحَمَّد عبد الحليم بيشي مقالا رائعا بعنوان: "الإمام مُحَمَّد الصالح ابن مهنا آثاره العلمية، وآراؤه الإصلاحية"، نشر بمجلة حوليات جامعة الجزائر 1، المجلد 35، العدد 2- 2021، الصفحة: 520 وما بعدها، وقد استفدت منه فيما تعلق بعرض آرائه ومواقفه.

(2) - لم أقف على الطبعة التونسية، وإنما وقفت على طبعة ابن أبي شنب، والطبعة التي باعتناء محفوظ بوكراع وعمار بسطة، والكلام المذكور في الرحلة الورثلانية في حاشية (66/2- 69) من طبعة محفوظ بوكراع وعمار بسطة..

والرد على إخوان الشياطين" التي قال فيها: "هذا وإني قد كنت كتبت طرة على بعض الكتب، رغبت فيها في التقوى، وحذرت من الاغترار بالنسب، وذكرت أن الشرف المعتبر هو ما كان مقرونا بتقوى الله عز وجل، وأن المجرد عن التقوى لا يعتبر أي لا يعتبر صاحبه، إذ المراد الشخص المجرد من التقوى، والمراد بعدم اعتباره أنه لا تجوز شهادته، ولا إمامته، ولا الرواية عنه، ولا أخذ العلم عنه ... كالعالم الفاجر، وكذا غيرهما إذ لا مزية لفاسق على فاسق، وهذا الأمر مجمع عليه، وليس الكلام في الشرف نفسه، ولا في الشريف المتقي، وإنما في الشريف الفاسق، كما أنه ليس الكلام في العلم نفسه، ولا في العالم العامل، وإنما هو في العالم الفاجر، وهذا أمر مشهور، لا يكاد ينكره أحد لوضوحه "[1].

وهذا الكلام رغم ما فيه من الصواب والعلم والحق إلا أنه حُمِل ووُضِع من بعض أعيان العلم والنسب الشريف زمن ابن مهنا رحمه الله موضع الطعن في الشرف والأشراف، والحط منهم، وعدم اعتبار نسبهم، بما يجعل الناظر يتساءل هل كان كلام ابن مهنا رحمه الله غامضا غير مفهوم، أو أنه فهم على غير مراده، أو أن بعضهم أراد حمله على غير محمله ليجد سبيلا إلى الوقيعة في هذا الرجل الذي ذاع صيته، واتسعت شهرة دروسه ومواعظه وخطبه، بعد أن عم الركود العلمي أنحاء قسنطينة وما جاورها، فحينها لا نستبعد أثر الحسد والوشاية في صنيع بعض المعارضين لابن مهنا رحمه الله، كما لا نستبعد صدق بعضهم في مواقفه التي يرجح أن سببها سوء النقل أو الفهم.

كان لهذه المسألة الأثر البالغ في محنة الشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله، فقد كان من أثرها جملة من الردود والمؤلفات من المخالفين، ممن كان قسنطينيا، أو جزائريا، بل وحتى من بعض المغاربة، ولم يقف الأمر عند المؤلفات والردود الكتابية بل بلغ الأمر إلى الشكاية به لدى الدولة الفرنسية المستعمرة يومها، والتي كان منها أن اعتقلته واستجوبته، وصادرت مكتبته، وكان من تبعات ذلك أن كتب رسالة سماها: "**إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنساوية**".

كما كان من تبعاتها أيضا أن فُصِل وأوقف عن عمله في التدريس والخطابة بالمسجد الكبير ثلاث سنين، نقل فيها إلى مسجد آخر، وبعدها أُرجع إلى المسجد الكبير يتداول الخطابة فيه جمعة بجمعة مع الشيخ الزواوي بن الشيخ الفقون القسنطيني رحمهم الله جميعا[2].

إن الكلام باستيفاء في محنة ابن مهنا رحمه الله يطيل بنا المقام، ويخرج الكلام عن النظام، إلا أن الآراء الإصلاحية لابن مهنا رحمه الله كان لها الأثر الكبير في حياته، وبعد موته على أهل قسنطينة خاصة ومن سمع بها من المسلمين

(1) – ابن مهنا، "تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين"، (51– 52).

(2) – سليمان الصيد، " صالح ابن مهنا القسنطيني"، (56– 57).

عامة، أحيى بها قلوبا مات أو كادت، أسمع بها آذانا لطالما صمت، إلى حد أن وصف مالك بن نبي دعوة ابن مهنا رحمه الله وصفا يستحق القراءة المتأملة حين قال: ".. وإنه لمن الواجب علينا أن ننوه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ صالح بن مهنة الضميرية الفردية ... فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898، والحق أن هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين، إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين الدراويش..."[1].

إن ما ذكرته في تضاعيف هذا المبحث محاولة لإظهار شيء وجيز من حياة هذا العلم، وأكيد أن تتبع سيرته والاستطراد في ذكر أخباره، وتراثه يحتاج منا إلى أوقات وصفحات لا تفي بها مثل هذا المداخلات، فلنكتفي من ذلك بما سبق، ولنصرف الكلام في يأتي للإشارة إلى الجوانب المتعلقة بعلم التفسير في شخصية ابن مهنا رحمه الله العلمية، وبالله التوفيق.

(1) – مالك بن نبي، " شروط النهضة"، (23).

3. المبحث الثاني: الجهود التفسيرية عند صالح ابن مهنا.

3. 1. مطلب في: ابن مهنا رحمه الله مفسرا.

إن الكلام في الجهود التفسيرية لعالم من العلماء يقتضي في المقام الأول بيان كونه من المفسرين الذي تحققوا بهذا العلم دراية، ليصح لنا بعد ذلك تناول ما نتج عن تحققه بتلك الملكة التفسيرية من جهود وأعمال، على اختلاف أنواعها وصورها.

والمفسر في عُرْف المعرِّفين هو من تأهل للكلام في معاني كلام الله تعالى، واستجمع العلوم اللازمة لذلك، ودرس التفاسير وعرف أقوالها، حتى لو لم يكن له فيه إلا الرواية، أو النقل، وحتى لو لم يكن له فيه تأليف معروف، **فالمفسر فيما أرى هو من تأهل لبيان معان كلام الله تعالى، بعد أن دَرَس وحصَّل هذا العلم على يد أهله، سواء أكان ذا تأليف فيه أو لا، وكذا لو كان درَّسه أو لم يدرِّسه، وسواء أكان ناقلا أو ذا اجتهاد ورأي فيه، بل أرى الجميع متحققا باسم المفسر غير أن طبقاتهم بعضها أرفع من بعض، فالناقل مفسر وأرفع منه طبق المفسر المحقق والمحرر. ومن صنف في التفسير فهو مفسر، ومن درَّس ولم يصنِّف فهو مفسر، ومن صنَّف ولم يُدرِّس فهو مفسر، بل أرى أن من تحقق بالعلم ولم لم يكن منه تأليف أو تدريس أنه مفسر بالقوة، ومن ألف في التفسير فهو مفسر بالفعل.**

فإذا تقرر هذا، فلا شك بعد ذلك في أن شيخنا الصالح بن مهنا رحمه الله من أهل العلم المفسرين:

❋ فهو الذي درس على ثلة من أهل العلم جملة علوم الشريعة، ومن أخصها علم التفسير، فقد درس في الزيتونة والأزهر على ثلة من أهل العلم ما منهم من عالم إلا وهو من أعيان علماء التفسير فيعصره، بل قد درس في الأزهر على ثلاثة من الأئمة الذين بلغوا مرتبة شيخ الإسلام، وبعضهم بلغ رتبة شيخ الأزهر، فمن درس على أمثال هؤلاء لا شك في تمرسه في علم التفسير.

❋ أن المقررات الشرعية المعتمدة في تلك الحواضر كان ولا يزال من أهمها مهمات التفاسير المعروفة، كتفسير الجلالين، وتفسير البيضاوي، وحواشيه، وتفسير ابن عطية والزمخشري وغيرها من كتب هذا الفن، فما من شك أن ابن مهنا رحمه الله قد درسها وقرأها[1].

---

(1) – انظر لمعرفة مقررات الأزهر التي يدرسها الطالب في مختلف مراحله التي لا تقل عن 13 سنة في كتاب الأستاذ مُحَمَّد البهي، الأزهر تطوره وتاريخه، (284) وما بعدها، وفيها ذكر جملة من أعيان كتب التفسير المقررة التي سبق ذكر بعضها، وكذا مثلها وقريب منها ما كان يدرسه الطالب في مختلف المراحل الزيتونية التي لا تقل عن 7 سنوات، وانظر في ذلك مقال بعنوان: "**التعليم في الجامع الزيتونة**" للباحث مُحَمَّد بوطيبي (المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 5 عام 2017، ص197 وما بعدها) على الرابط:
. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/43019

❋ أن ابن مهنا رحمه الله هو الفقيه المالكي المعروف الذي درس جملة من الكتب الفقهية من أوائلها "**شرح مختصر خليل للدردير**"، وعلم الفقه يتناول جملة لا بأس بها من الآيات الفقهية، فالمحصل للفقه محصل بالضرورة لتفسير هذه الآيات على الأقل.

❋ أن علم التفسير من العلوم التي تشترط لإجازة الطالب لأن يكون من الأئمة والعلماء المجازين، والشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله من الأئمة المعتبرين، ومن أعل العلم المجازين، ومن خريجي الزيتونة والأزهر، وممن جالس أهل العلم، ودرس، ثم درّس وعلّم وشهد له أهل العلم بالفضل والتقدم في العلوم الشرعية.

❋ أن ابن مهنا رحمه الله ذكر في موضع من كتبه أحد كتب التفسير التي اعتنى بها، وذكر أنه من الكتب التي كان يقرأها في الدرس، وهو ما يدل على تدريسه علم التفسير، ولا يدرِّس علم التفسير إلا متأهل، وذلك التفسير هو كتاب "**روح البيان في تفسير القرآن**" للعلامة إسماعيل حقي الإستانبولي التركي (ت 1127هـ)، فقد ذكر في كتابه "**إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة**" مجيبا على أحد اعتراضات المعترضين فقال: "... ثم هي ليست من كلامي، وإنما هي من القرآن الذي نقرأه ويتلى في كل المساجد، وما ذكر معها من التفسير، هو من تفسير الشيخ إسماعيل حقي الذي نقرأه في الدرس"[(1)]. وواضح اعتناء الشيخ ابن مهنا رحمه الله بتفسير روح البيان لإسماعيل حقي رحمه الله فهو كثير النقل عنه، كما أنه له تأليف في اختصاره تأتي الإشارة إليه.

❋ أن التأليف والاعتناء بالتفسير تصنيفا من أخص الدلائل على مكنة العالم من التفسير، وعلوم القرآن، ومع أن ابن مهنا رحمه الله لم يكن له اعتناء بالتفسير تصنيفا بشكل خاص، إلا أن في مصنفاته ما يُظهر اعتناءه بالتفسير، وهذا ما سنركز الكلام في عرضه واستظهاره فيما سيأتي.

❋ أن المطالع لبعض تراث ابن مهنا رحمه الله يلحظ فيه كثرة نقله عن التفاسير، وحسن اقتباسه منها، وتنوعها من حيث مناهجها وأزمنتها، بما يدل على تفرسه وتمرسه فيها، وفي مضامينها.

❋ وأختم هذا المقام بكلمة للباحث الأستاذ المؤرخ بلقاسم سعد الله وهو يتكلم عن زمن ابن مهنا رحمه الله ويسجل شهادته لبعض الأعلام بما كانوا أهل شهرة به فيقول: " ....ومن الذين تحدثت الوثائق عن اهتمامهم وقدرتهم على تعاطي التفسير الشفوي: حميدة العمالي، مفتي المذهب المالكي بالعاصمة خلال الستينات، وعبد

(1) – الصالح ابن مهنا، "إظهار الحق"، (112).

القادر المجاوي، وحمدان الونيسي. ومُحَمَّد الصالح بن مهنة[1] وعبد الحليم بن سماية وشعيب الجليلي ومُحَمَّد بن عبد الرحمن الديسي..." [2]. فالمرء قد يعنى بالتفسير تدريسا ولا تسعفه الظروف فيه تسطيرا وتأليفا.

إن جملة ما تقدم عرضه يدل بالقطع والجزم على مكنة العلامة الصالح ابن مهنا رحمه الله في التفسير، ومزيدا في التدليل على هذا، نعود إلى النقطتين الأخيرتين بشيء من التفصيل في الفرعين الآتيين.

3. 2. مطلب في: مؤلفات ابن مهنا التفسيرية.

سبق أن أشرنا أن تآليف ابن مهنا رحمه الله كثيرة جدا، أكثرها مفقود اليوم لا يعلم عنه شيء، إلا بعض ما حقق وطبع، وما حفظت بعض الكتب بعضه، أو لمحات عنه.

والشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله مرت به فترة كانت سبيلا له إلى الاعتناء بالعلم تأليفا وشرحا، وهي فترة عمله مدرسا وخطيبا في المسجد الكبير، ثم توالت عليه الظروف التي لم تسعفه في ظهور اعتنائه الواسع بالتفسير، ألا وهي زمان محنته، فهي وما كان فيها من مصنفات أشغلته عن الاعتناء بمختلف فنون العلم، كما أن ما تضمنته مؤلفاته زمن محنته من متعلقات علم التفسير إنما اقتصر على ما له علاقة بموضوع الرد والاعتراض والمناقشة، وما يحتاج إليه من آيات وتفسيرات.

وبعد تتبع جملة مؤلفات الشيخ ابن مهنا رحمه الله رأيت أن ما يتعلق بالتفسير منها رسالة وكتاب، هما ما سنعرضه فيما يلي:

أولا: رسالة بعنوان: "**بشارة المتقين في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)**".

وهذه الرسالة لا يعلم عنها إلا ذكر الأستاذ سليمان الصيد رحمه الله لها في سرد مؤلفات ابن مهنا رحمه الله[3]، ولا يُعلم عنها أي شيء آخر، إلا أن الظاهر من عنوانها، ونمط تأليفها أنها كانت من تآليف زمن الفتنة والمحنة وذلك:

* أن أغلب تآليف ابن مهنا رحمه الله فيها كان عبارة عن رسائل مختصرة، وهذه على شاكلتها.

* كما أن أغلب رسائل ابن مهنا رحمه الله زمن المحنة كان متعلقة بما أنكره على أهل زمانه في مسألة الشرف والأشراف وما له صلة بها، وهذه الآية عند الشيخ ابن مهنا رحمه الله من أقوى الأدلة في رد افتراءات المتعلقين

---

(1) – والأستاذ بلقاسم رحمه الله يسميه في كل الكتاب –تاريخ الجزائر الثقافي– كذا "مهنة"، وهو خطأ واضح، فالاسم الصحيح الذي سمى به ابن مهنا رحمه الله نفسه ونسب به نفسه في كافة كتبه، أنه بألف في الأخير لا بالتاء "مهنا"، وشواهد ذلك وأدلته كثيرة، أكبرها أنه الاسم الذي ذكره الصالح ابن مهنا رحمه الله لهذا الرجل الذي ينتسب إليه وهو "مهنا" كما سبق نقله وذكره حال الكلام على نسب مترجمنا الصالح بن مهنا رحمه الله.

(2) – بلقاسم سعد الله، " تاريخ الجزائر الثقافي "، (7/ 10).

(3) – سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني"، (177).

بالشرف من غير تقوى، وقد أشار إلى ذلك في جملة من كتبه منها "**تنبيه المغترين**"[1]، وكذا أجوبته على أسئلة الدولة الفرنساوية المسماة "**إظهار الحق**"[2]، وأشار إليها نقلا في كتابه "**الفتح الرباني**"[3]. فلعله رأى ضرورة بيان تلك الآية على وجه أكمل وأظهر فأفردها تأليفا.

ثانيا: كتاب بعنوان: "**مختصر روح البيان للشيخ إسماعيل حقي**".

وهو اختصار لتفسير العلامة إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، ولا يُعلم عن الكتاب إلا ما ذكره عنه سليمان الصيد، والظاهر أنه وقف على نسخة خطية من المختصر ذلك أنه قد أرفق ذكره بصورة من أول الكتاب وهي هذه التي ستأتي بين يديك أيها القارئ قريبا.

ومضمونها كما سيظهر لك أول المختصر، وهو صفحة من ورقته الأولى، حوت ذكر اختصار كلام إسماعيل حقي رحمه الله على الاستعاذة، وسنتكلم لاحقا عن منهجه في هذا الاختصار.

وهنا من الضروري أن أشير إلى أن ابن مهنا رحمه الله ذو اهتمام بالغ بهذا التفسير ذلك أنه استفاد منها، ونقل عنه في مواضع كثيرة جدا في رسائله التي بين أيدينا، كما سيأتي ذكره لدى كلامنا على مصادره في التفسير.

---

(1) – صالح ابن مهنا، "تنبيه المغترين"، (87).

(2)–صالح ابن مهنا ، "إظهار الحق"، (140).

(3) – صالح ابن مهنا ، "الفتح الرباني"، (274).

صورة الصفحة الأولى من "**مختصر روح المعاني للشيخ إسماعيل حقي**" اختصار صالح بن مهنا رحمه الله:

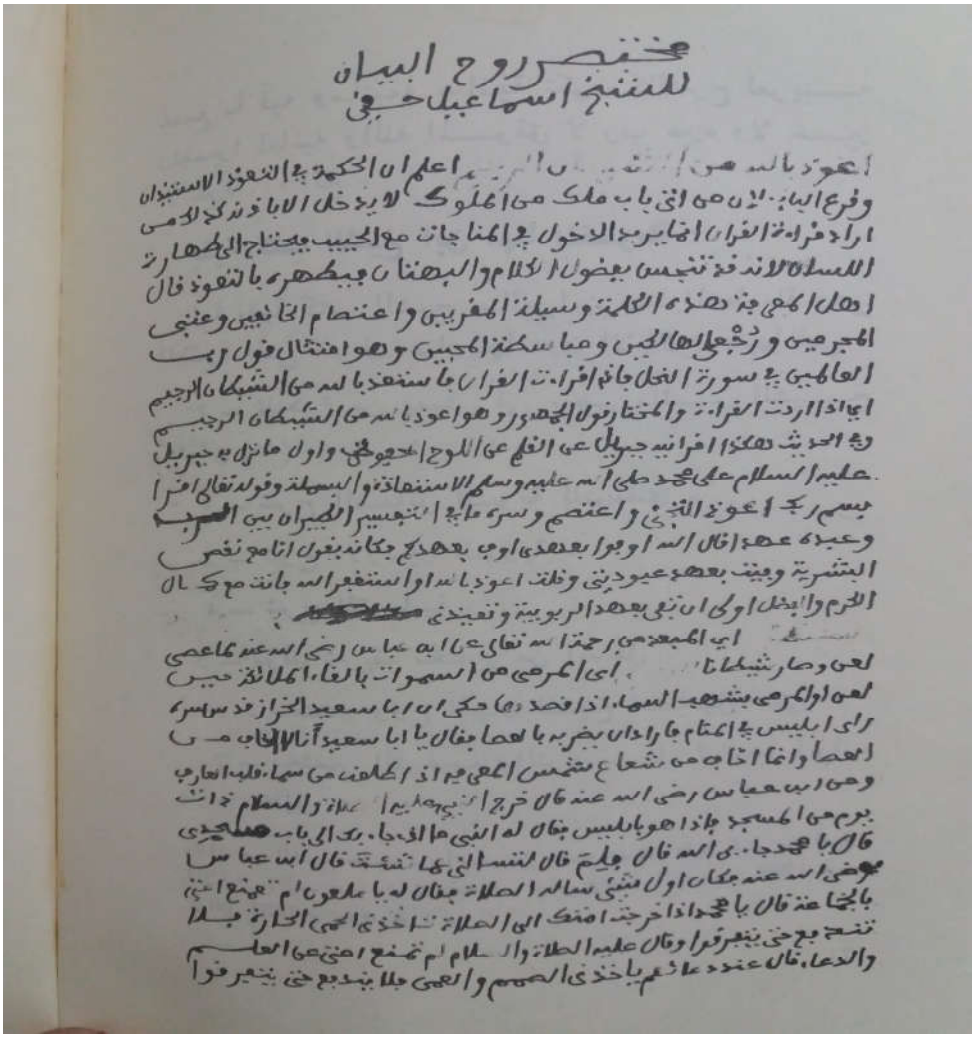

مختصر روح البيان
للشيخ اسماعيل حقي

اعوذ بالله من [illegible] اعلم ان الحكمة في التعوذ الاستيذان
وفرع الباب لان من اتى باب ملك من الملوك لا يدخل الا باذنه فكذا لكي
اراد قراءة القرآن اقتضى ان يستاذن الدخول في المناجات مع الحبيب يحتاج الى الطهارة
للسان لانه فتحة تنجس بفضول الكلام والبهتان فيطهره بالتعوذ قال
اهل المعرفة هذه الكلمة وسيلة المقربين واعتصام الخائفين وعتبة
المجرمين وزجر للشياطين وحباسكة للمحبين وهو امتثال قول رب
العالمين في سورة النحل فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
اي اذا اردت القراءة والمختار قول الجمهور وهو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وفي الحديث هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ واول من نزل به جبريل
عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم الاستعاذة والبسملة وقولنا اقرأ
بسم ربك اعوذ النبي واعتصم وسره ما في التعبير الجبران بين العبد
وعبده عهد اقال الله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وكانوا يقولون انا مع نفس
البشرية وفيها بعهد عبوديتي وقلت اعوذ بالله او استغفر الله جانت مع كل
الذم والبخل اولى ان تفي بعهد الربوبية وتعبدني [illegible]
اي المبعد من رحمة الله تعالى عن ابن عباس رضي الله عنه كما عصى
لعين وصار شيطانا [illegible] اي اكرمني من السموات بالفاء الملائكة حين
لعين او اكرمني بشهب السماء اذا قصدها حكى ان ابا سعيد الخراز قد سمع
رأى ابليس في المنام فاراد ان يضربه بالعصا فقال يا ابا سعيد أنا لا اهاب من
العصا وانما اخاف من شعاع شمس الضحى فيحرقني اذا خلفت من سماء قلبه انوار
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] والسلام ذات
يوم من المسجد فاذا هو بابليس فقال له ابغي ما الذي جاء بك الى باب مسجدي
قال يا محمد جاء بي الله قال فلم قال لتسألني عما شئت قال ابن عباس
رضي الله عنه فكان اول شيء سأله الصلاة فقال له يا ملعون ام تمنع امتي
بالجماعة قال يا محمد اذا خرجت امتك الى الصلاة تأخذ اليمين اليسار فلا
تنهض حتى يغفر لها وقال عليه الصلاة والسلام لم تمنع امتي عن العلم
والدعاء فان عندها علم ياخذ الصمم والعمى فلا يندفع حتى يغفر لها

3. 3. مطلب في: معالم منهج التفسير عند ابن مهنا في مؤلفات.

قد تقرر لدينا من خلال ما سبق أن ابن مهنا رحمه الله من أهل العلم المفسرين، الذين كان لهم نشاطهم العلمي عموما والتفسيري خصوصا، ذلك النشاط الذي حالت جملة من الظروف دون استمرار وجوده واستفادتنا منه، وذلك ما يكون عائقا دون المعرفة التفصيلية بمنهج هذا العالم في التفسير، إلا أن فوات المعرفة التفصيلية بذلك لا يمنع من تلمس معالم ذلك من خلال ما هو موجود من تراثه التفسيري، وهو ما سنعرض له فيما سيأتي.

3. 3. 1. فرع في: معالم منهجه في التفسير من خلال الموجود من كتبه.

إن المتوفر من تراث ابن مهنا رحمه الله لا يزيد على حاشيته على الرحلة الوثلانية، وجملة الرسائل التي سبقت الإشارة إليها في ترجمته حال ذكرنا لمحنته التي مر بها، وغاب عنا الكثير من مصنفاته، وكتبه، لذا أنبه في البداية أن ذكرنا لمنهجه في التفسير لا يعدو أن يكون إشارات ومعالم معرفة ومجملة، تكشف بعض الموجود، وتحفز الباحثين لمزيد التطلب والتفصيل، وبعد مطالعتي وقراءتي لتراث ابن مهنا رحمه الله مطبوع، استخلصت مما ذكره من كلام في التفسير جملة من المعالم التفسيرية أوردها فيما يلي.

3. 3. 1. 1. فرع: مصادره في التفسير.

من خلال تتبع كلام ابن مهنا رحمه الله في رسائله، رأيته يعتمد جملة لا بأس بها من المصادر الأصول في تفسير القرآن الكريم، متنوعة من حيث زمان تأليفها، واتجاهها التفسيري. وقد أحصيت من ذلك ما يلي[1]:

❋ ينقل ابن مهنا رحمه الله كثيرا جدا عن تفسير "**روح البيان**" لإسماعيل حقي رحمه الله، وقد وقفت له في رسائله ومطبوع كتبه على قرابة 25 نقلا عنه، باستثناء حواشيه على الرحلة الورثلانية التي يحتاج جردها وإحصاء ما فيها إلى وقت كبير. فهذا التفسير يأتي في صدارة المصادر التي اعتمدها العلامة ابن مهنا رحمه الله في نقل مادته التفسيرية.

❋ يتلو ذلك جملة من المصنفات التفسيرية منها: تفسير "**المحرر الوجيز**" ابن عطية رحمه الله، و"**الجواهر الحسان**"للثعالبي رحمه الله، نقل عنهما قرابة خمسة مرات عن كل واحد منهما.

❋ وأحصيت له نقله ثلاثة مرات عن كل من تفسير: "**أنوار التنزيل**" للبيضاوي، و"**الحاشية على الجلالين**" للصاوي رحمهم الله.

❋ كما أحصيت له نقلا واحدا عن عدة تفاسير ك: "**لطائف الإشارات**" للقشيري، و"**التفسير الكبير**" للفخر الرازي، و"**الجامع لأحكام القرآن**" للقرطبي، و"**لباب التأويل** " للخازن، و"تفسير القرآن العظيم" لابن كثير،

(1) – أحصيتها من جملة الرسائل التي اعتنى بها الباحث هارون بولقرينات، وسبقت الإشارة إليها في المقدمة.

و"**مدارك التنزيل وحقائق التأويل**" للنسفي، و"**السراج المنير**" للخطيب الشربيني ، و"**الحاشية على الجلالين**" للعلامة الجمل رحم الله الجميع.

فهذه هي أهم المصادر التفسيرية التي وقفت عليها في رسائله، باستثناء حاشيته على الرحلة الورثلانية كما سبقت الإشارة ، وهي أهم كتب التفسير المعتمدة لدى أهل العلم رحمهم الله، ويمكنني هنا أن أذكر جملة من الملاحظات:

1. أولها أن القارئ يلاحظ خلوها من ذكر كتاب "**جامع البيان**" لابن جرير رحمه الله، ولا أدري ما سبب ذلك هل لعدم اطلاعه عليه أو عدم توفره لديه.

2. أن نقل ابن مهنا رحمه الله عن هذه المصنفات في أكثره يكون نقلا مختصرا فلا يطيل النقل والاقتباس، ودائما ما يستهل النقل بعبارة قال أو يقول، ثم يختمه بما يدل على نهاية النقل المقصود كقوله: "انتهى".

3. أن نقله عن تلك المصادر يكون في الغالب نقلا حرفيا، وأحيانا ينص هو على أنه كلام المفسر بحروفه، وفي بعض الأحيان يكون نقلا بالمعنى، فينبه ابن مهنا رحمه الله في نهاية النقل قائلا: "باختصار".

4. حال تأكيد ابن مهنا رحمه الله للمعنى المنقول في كلام المفسر بكلام مفسرين آخرين، يسلك سبيلين، إما أن ينقل كلام المفسرين جميعا مرتبا منقولا، مع التنبيه على نهاية كل قول، أو ينقل عن واحد منهم، ويشير إلى أن هذا المعنى ذكره غيره من المفسرين ويذكرهم.

5. تلك المصادر التفسيرية هي أغلب مستمده في نقل المادة التفسيرية، ولا يمنع هذا من أن ينقل بعض المادة التفسيرية والكلام في معنى الآيات عن غيرها، ككتب الغزالي رحمه الله ك "إحياء علوم الدين"، وغيرها من الكتب التي فيها بغيته وطلبته.

6. أن مؤلفات ابن مهنا رحمه الله أغلبها كانت في مضمار الرد والمعارضات بينه وبين خصومه، فمثل هذا الحال في التأليف يقتضي من المؤلف الابتعاد عما هو منسوب إليه من أقوال وآراء، بل يقتصر على النقل عن الثقات والمعتبرين من الأئمة ليقيم الحجة على خصومه ومعارضيه. وهذا ما يبرر كثرة نقله، وقلة اجتهاده في تحرير العبارة التفسيرية.

3. 3. 1. 2. فرع: الأصول المعتمدة في التفسير.

قد لا تفي المادة العلمية التفسيرية المبثوثة في مؤلفات ابن مهنا رحمه الله في استخلاص الأصول التي يعتمدها في التفسير لقلة تلك المادة من جهة، ثم لكون أغلبها منقول عن غيره من المفسرين، فهي أصول أولئك الذين نقل عنهم، لكن ومع هذا فإن نقله عنهم، وإقراره بمضمون كلامهم، والأصول التي اعتمدوها، يمكننا من أن ننسبها إليه، ونعزوها له.

إضافة إلى أن في بعض كلامه ما يمكن أن تستنبط منه بعض متعلقات أصول التفسير، وسأحاول فيما يلي استجماع ما تيسر لي من ذلك، مقدما عليها بعض كلام ابن مهنا رحمه الله في مواضع من كتبه، ومتبعا له بما يستنبط منها من أصول تفسيرية:

يقول رحمه الله: "ومن مقالة الرافضة والشيعة في التفسير كما في ابن عطية والثعالبي أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمن]، قالوا: "البحران علي وفاطمة"، وقالوا في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن]: هما الحسن والحسين. إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا يرضاها الله ورسوله، ولا يساعدها نقل، ولا عقل، ولا لغة"[1].

وقال رحمه الله في موضع آخر في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب:33] ، قال بعد ذكر جملة من كلمات المفسرين في معنى ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: "قلت: فهذه خمس احتمالات ليس فيها واحد مقطوعا به، وأقوى الاحتمالات أنها في الأزواج، بدليل ما قبلها أعني قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب] وبدليل ما بعدها أعني قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب]، وكلام البيضاوي صريح في اعتماد ما قلناه، وأما القول بأنها في علي وفاطمة وابنيهما فهو قول الشيعة، ولا يقبل قولهم في هذا الباب كما في القسطلاني على البخاري.

وعلى كل احتمال فليس في الآية دليل للشريف الفاسق، على ارتكاب المعاصي أو ترك الفرائض أو على أنه مغفور له كما زعم ذلك أهل الضلال بل الآية آمرة ناهية، وما ذكر فيها من التطهير إنما لمن امتثل الأوامر، واجتنب النواهي، ولا حظ في هذا التطهير للشريف الفاسق، لأنه لم يطهر نفسه، ولم يمتثل الأمر والنهي، وهذا على أحد الاحتمالات، والحق أنها في الأزواج..."[2].

وقال في رده على المهدي الوزاني المغربي: "فصل في بطلان استدلاله لبدعته بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الأحزاب] وذلك أن معنى الآية: إنما أمركم الله ونهاكم ليذهب عنكم الرجس إن امتثلتم الأمر والنهي، فإن لم تمتثلوا فلا يذهب عنكم الرجس ولا يحصل التطهير، ولذا قال العلامة

(1) – الصالح بن مهنا، "تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين"، (88– 89).

(2) – الصالح بن مهنا، "تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين"، (90– 91).

الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين في تفسير هذه الآية قال: "وكل من ادعى التطهير من ارتكاله المعاصي فهو ضال كذاب" انتهى.

فلا دليل فيها لفسقه، مع أنه اختلف في تفسير أهل البيت اختلافا كثيرا، فقيل هم خصوص علي وفاطمة والحسن والحسين، وهم أهل العباءة خاصة، وقيل هم الأزواج، وقيل هم أهل البيت العتيق، وقيل المراد ما يشمل الذرية، وعلى كل يجيء قول الصاوي المتقدم بلا دليل فيها للفسقة أصلا ..."[1].

هذه بعض الكلمات المقتبسة من بعض رسائل ابن مهنا رحمه الله ظهر لي فيها اعتناؤه ببعض أصول التفسير وقواعده، فمن ذلك :

❋ نقل التفاسير الباطلة والرد عليها، وهو مندرج تحت أصل التفسير المقارن، والخطأ في التفسير، والنقد في التفسير.

❋ كما أن قوله: "... إلى غير ذلك من الأباطيل التي لا يرضاها الله ورسوله، ولا يساعدها نقل، ولا عقل، ولا لغة " يدل على بعض مستندات التفسير عنده، وأنها النقل من السنة أو أقوال الصحابة والتابعين، أو اللغة وما دل عليه الكلام بظاهر العبارة العربية، وما تحتمله من معاني بالأسلوب العربي، أو من دلالة العقل الصريح على دلالة اللفظ على ذلك المعنى. فهذه الكلمة تومئ إلى اعتماد ابن مهنا رحمه الله أصول التفسير المعروفة لدى أهل العلم والمفسرين من قبله، فهي عنده التفسير بالقرآن والسنة والمنقول عن الصحابة والتابعين، وما يدل عليه الرأي الصحيح المبني على اللغة ودلالاتها، وكذا العقل الصريح الذي لن يعارض بأي حال نصوص الوحيين.

❋ ويظهر في كلامه الثاني زيادة على ما تقدم اعتناؤه بالأقوال التفسيرية من حيث جمعها، وكذا تأملها والترجيح بينها، وإعماله لقواعد الترجيح بين الأقوال التفسرية، والتي منها قاعدة الترجيح بالسياق.

❋ كل الذي تقدم إضافة إلى ما مشى عليه الأئمة المفسرون – الذين اعتمدهم وكانت كتبهم مصادره– من أصول تفسيرية، وقواعد، وهي كثيرة. وجملة ما يقال في هذا المقام أن ابن مهنا رحمه الله مشى على ما مشى عليه أئمة التفسير الأعلام من أصول وقواعد.

فهو رحمه الله يعتمد تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، ويستدل بأسباب النزول ويعملها، ويعتبر بالقراءات ودلالالتها، ويقول بتفسير القرآن الكريم بالرأي المنضبط المبني على دلالة اللفظ القرآني العربي، ويعتبر الأقوال المتنوعة في التفسير، يقبل منها ما أمكن قبوله ويرد ما دل الدليل على رده، أو ما لم يقم دليل أصلا على تثبيته، إلى غير ذلك من الأصول التي يعتمدها أهل العلم قديما وحديثا.

(1) – الصالح بن مهنا، "الفتح الرباني في الرد على المهدي المغربي الوزاني"، (235– 236).

3. 3. 2. فرع في: معالم منهجه في التفسير من خلال اختصاره لـ "روح المعاني".

سبق الإشارة حال ذكر مؤلفات ابن مهنا رحمه الله التفسيرية أنه اعتمد، واهتم غاية الاهتمام بتفسير "**روح البيان**" للشيخ إسماعيل حقي الإستانبولي رحمه الله، وأدلة اهتمامه به كثيرة جدا منها:

❋ كثرة نقله عنه فيما وقفت عليه من كتبه ورسائله، وقد سبق ذكر إحصاء لذلك حال ذكر مصادره في التفسير.

❋ اهتمامه به في التدريس فقد كان يقرأ تفسيره في الدروس المسجدية والعلمية. كما أشار إلى ذلك في بعض كلامه، وقد سبقت الإشارة إلى هذا.

❋ وهي نقطة تابعة للتي سبقت وهي أن المحتمل أن ابن مهنا رحمه الله كان يقرأ في الدروس مما اختصره ولخصه من كتاب "**روح البيان**"، ولم يكن يقرأ من الكتاب الأصل، ذلك أن الكتاب الأصل احتوى على تطويل واستطراد لا يليق بمقام الدروس. ثم إن كتاب "**روح البيان**" حوى كثيرا من الكلام باللغة التركية التي تنافي لغة الدرس في مساجد قسنطينة، وهو ما جعلني أرجح أنه كان يلخص من التفسير الأصل، ويقرأ من التلخيص.

ذلك التلخيص الذي فقدت المعلومات عنه، ولم نعثر على مخطوطاته قد أسعفنا الأستاذ سليمان الصيد بصورة لصفحة منه، وهي من أوله، وبعد تأملها ومقارنتها بأصلها ظهر لي ما يلي:

❋ لم يظهر في الصفحة الأولى من المختصر أي استفتاح أو استهلال يشابه ما كان يتخذه ابن مهنا رحمه الله في كتبه الأخرى، فليس في مطلعه إلا قول ابن مهنا : "**مختصر روح البيان للشيخ إسماعيل حقي**"، ثم شرع بعدها في ذكر المقصود. فكأن ابن مهنا رحمه الله إنما جعله تلخيصا للاستفادة الذاتية لا للنشر والتناقل.

❋ أن منهج ابن مهنا رحمه الله في هذا الملخص يظهر بالمقارنة بين النصيص، بين الأصل والمختصر، وبعدما قارنت بينهما ظهر لي أن ابن مهنا رحمه الله لم يزد على أن حذف من كلام الشيخ إسماعيل حقي رحمه الله بعض الكلام الذي حوى استطرادا، ومعارف لا تتوافق مع نظرة ابن مهنا رحمه الله ومقصده حال التدريس، فحذفها، حذفا يجعل كلام الشيخ إسماعيل حقي رحمه الله لا تنافر فيه، مع إضافات يسيرة لا تزيد على الكلمة والكلمتين لحسن الربط.

❋ أن المقارنة بين النصيص دلت على أن ابن مهنا رحمه الله اختصر في صفحة واحدة من مختصره قدر 3 صفحات من الكتاب الأصل، وهو ما يحتمل من حيث العدد أن يكون مختصره الكامل في أجزاء لا تقل عن ثلاثة أجزاء، هذا إن كان أكمله، وفي النهاية فالمعلومات عن هذا التلخيص شحيحة جدا.

❋ إن مثل هذا الصنيع في التأليف يجعل منهج ابن مهنا رحمه الله في التفسير، واتجاهه فيه غير واضح المعالم، فالاختصار إنما يصور وجه ما يعتني به المختصر من المادة المختصرة، لا أكثر. وأكيد أن لهذا أسبابا منها:

– أن ابن مهنا رحمه الله راعى جانب حاجة الناس ومستواهم في التعليم والتدريس.

– أن ابن مهنا رحمه الله مر بظروف صعبة خاصة آخر حياته وسنوات محنته ما جعله يتخذ في تآليفه نمطا معينا يبتعد فيه عما هو من رأيه وصنيعه واجتهاده مكتفيا بالنقل عن الأئمة الذين استقرت إمامتهم والقدوة بهم بينه وبين خصومه. وهذا يظهر بجلاء في تآليفه التي ألفها ردا ومعارضة.

❋ من دلائل اعتناء ابن مهنا رحمه الله باختصار هذا التفسير يمكننا أن نتلمس شيئا من ميل الشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله إلى الاتجاه الإصلاحي في التفسير، جامعا به بين الجانب الوعظي، وطرفا من الجانب الصوفي المنضبط، مبتعدا بالدرس التفسيري عن الروايات الضعيفة، والإسرائيليات المنكرة.

وتتمة أقول إن هذا الذي ذكرته هنا أذكره على توجس ومن غير إطلاق، ذلك أنه مأخوذ من صفحة واحدة من تلخيص الكتاب، وهي مستند غير كاف للاستنباط والتدليل، لذا فما أُخذ منه من أحكام مقبول إلى حد ليس بالقطعي. والله أعلم.

الخاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية المتواضعة، أضع جملة أهم النتائج التي خلصت إليها في، وهي في نقاط كالآتي:

أولا:

❋ الشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله من الشخصيات الإصلاحية الجزائرية التي كانت وما تزال إلى اليوم من الشخصيات الجزائرية الإصلاحية المغمورة.

❋ لا يُعلم للشيخ صالح ابن مهنا رحمه الله تاريخ ميلاد دقيق إلا أن الأقرب والأظهر والأرجح الذي تدل على القرائن مجتمعة أنه ولد في حدود سنة 1840م.

❋ ابن مهنا رحمه الله خريج اثنين من كبار المراكز العلمية، فهو خريج الزيتونة والأزهر.

❋ تدل شواهد التاريخ على أن ابن مهنا رحمه الله كان شخصية علمية ذات سمعة وصيت ذلك أنه انتدب للخطابة والتدريس في المسجد الكبير بمدينة قسنطينة، والذي لا ينتدب إليه إلا خواص أهل العلم.

❋ يمكننا اعتبار الشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله من أبرز الشخصيات الإصلاحية في زمنه، والذي كان لحركته الإصلاحية التصحيحية أثر على المجتمع، وأثر فيمن جاء بعده.

❋ اهتم ابن مهنا رحمه الله بالخطابة والتعليم والإرشاد فترك تراثا علميا زاخرا ومتنوعا.

❋ ركز البحث على إظهار مهمات جوانب اعتناء ابن مهنا رحمه الله بالتفسير وعلومه، وأهم معالم ذلك. ولا شك أن المعلومات التي بين أيدينا لا تعطينا الصورة الكافية إلا أنها تشير بشكل واضح إلى مدى اعتنائه رحمه الله بالقرآن الكريم وتفسيره.

❋ كثير من جوانب حياة ابن مهنا رحمه الله يكتنفها الغموض، وما ذلك حسب رأيي إلا لعدم اهتمام الباحثين وتغافلهم عن تتبع وتقصي متعلقات حياته ونشأته وتعلمه وتعليمه، ولذا أقترح التوصيات الآتية:

❋ أن يعتنى بهذا العالم حق الاعتناء بأن توضع جملة من الدراسات:

- منها ما يتعلق بسيرته وحياته، وما تعلق بها من أمور ومراحل ورحلات.
- ومنها ما تعلق بتراثه من حيث تتبع مطبوعه، والبحث والتقصي عن مخطوطه.
- ومنها الاعتناء بتراثه المخطوط دراسة وتحقيقا.

ومنها الاعتناء بمضامين كتبه وماحوته من علوم من حيث الاستفادة منها ودراستها وتحليلها، وعلى سبيل المثال فإن المتتبع لتعليقاته رحمه الله على الرحلة الورثلانية سيظفر فيها بكلام متين جدا في جملة من العلوم كالفقه والتاريخ والتصوف والجغرافيا، والرجال والأنساب، والحديث وشرحه، والتفسير وما تعلق به، فقد حوت تلك الحواسي علوما أظهرت مستو عليما سامقا للشيخ الصالح ابن مهنا رحمه الله.

المصادر والمراجع:

مُحَمَّد البهي، "الأزهر تاريخه وتطوره"، وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر، 1373هـ- 1964م.

سليمان الصيد، "صالح بن مهنا القسنطيني،حياته وتراثه"،دار البعث للطباعة والنشر،قسنطينة، ط1، 1404هـ- 1983م.

الحسين بن مُحَمَّد الورثلاني، "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهورة بـ "الرحلة الورثلانية"، باعتناء محفوظ بوكراع، وعمار بسطة.

الحسين بن مُحَمَّد الورثلاني، "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" المشهورة، طبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر، باعتناء مُحَمَّد ابن أبي شنب، 1326هـ- 1908م.

هارون بولقرينات، " علامة وقته وفريد عصره خديم الحديث الشريف والسنة المطهرة أبو البركات صالح ابن مهنا القسنطيني الأزهري ترجمته وبعض من آثاره "، منشورات مؤسسة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، دار الهدى، 2020.

صالح ابن مهنا، "الفتح الرباني في الرد على المهدي الوزاني"، ضمن آثار ابن مهنا التي نشرها له الباحث بولقرينات في كتابه " علامة وقته وفريد عصره ".

صالح ابن مهنا ، "إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنساوية"، ضمن آثار ابن مهنا التي نشرها له الباحث بولقرينات في كتابه " علامة وقته وفريد عصره "..

صالح ابن مهنا، "تنبيه المغترين والرد على إخوان الشياطين"، ضمن آثار ابن مهنا التي نشرها له الباحث بولقرينات في كتابه " علامة وقته وفريد عصره ".

بلقاسم سعد الله، " تاريخ الجزائر الثقافي "، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، طبعة خاصة – 2007 م.

المقالات:

مُحَمَّد بوطيبي: "التعليم في الجامع الزيتونة"، (المجلة المغاربية للمخطوطات، العدد 5 عام 2017) على الرابط:
. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/43019

مُحَمَّد عبد الحليم بيشي عنوان المقال: "الإمام مُحَمَّد الصالح ابن مهنا آثاره العلمية، وآراؤه الإصلاحية"، نشر بمجلة حوليات جامعة الجزائر1، المجلد 35، العدد 2- 2021، على الرابط:
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/18/35/2/154414

منى صالحي، مقال بعنوان: "الشيخ االصالح بن مهنا وكتابه رسالة لطيفة تسمى إظهار الحق في الأجوبة التي أجبت بها الدولة الفرنسوية "، مجلة عصور في العدد 22- 23 بتاريخ جويلية – ديسمبر 2014. الرابط:
https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/167/13/2/96551